

# بُوحُ المَرَّجانِ في اختيار الخُلَّانِ

# بُوحُ المَرَّجانِ في اختيار الخُلَّانِ

كيف يمكن أن تتفاعل مع قصص كتبت قبل ألف عام؟ كيف يمكن إعادة صياغة الأسئلة الجمالية والأدائية في النصوص الأدبية بصرياً؟ هذا تحديداً هو ما تقدمه في كتاب «بُوحُ المَرَّجانِ في اختيار الخُلَّانِ».

جاء في كلام العرب قديماً أن المستحيلات ثلاثة وهي: الغول والعقواء والحلّ الوفي. فهل يعبر هذا القول عن استحالة الصداقة عند العرب؟ يرد في كُتب التراث العربي العديد من النصوص التي احتفلت بالصداقة وقصص الأصدقاء. وقد تناول الفلاسفة العرب مفهوم الصداقة شأنهم شأن الإغريق وغيرهم من الأمم. يتناول هذا الكتاب من سلسلة المكتبة العربية للناشئة مفهوم الصداقة كما عرفها العرب، وكما أظرتها الثقافة العربية، والكابات التي وصلتنا من العصر الوسيط.

يُنشر الكتاب ضمن سلسلة المكتبة العربية للناشئة، وهي مبادرة من المكتبة العربية التابعة لمعهد جامعة نيويورك أبوظبي، في سياق اهتمامها بتقدير الأدب العربي للناشئة والقارئ المعاصر عموماً. تتبنى هذه السلسلة مقارنة المكتبة العربية لإحياء التراث واستعادته بأجناسه وثمانته المتنوعة والمختلفة من منظور تفاعلي يتيح الاحتفال بقراءة التراث كفرصة حيوية للدخول في التجريب والابتكار على المستويين الشخصي والمعرفي.

بُوحُ المَرَّجانِ في اختيار الخُلَّانِ  
مختارات عن الصداقة في الأدب العربي

مختارات عن الصداقة في الأدب العربي

اختيار: بلال الأرفه لي \* إيناس خنسه

تصوير: محمود الداود

المكتبة  
العربية  
للناشئة



SPONSORED BY THE



# بَوْحُ الْمَرْجَانِ فِي اخْتِيَارِ الْخُلَّانِ

مختارات عن الصداقة في الأدب العربيّ

# بُوحُ المَرَّجانِ في اِختِيارِ الخُلانِ

مختارات عن الصداقة في الأدب العربيّ

اختيار

بلال الأرفه لي \* إيناس خنسه

تصميم وإخراج

نورالدين طيارة

تصوير

محمود الداود

تحرير

بلال الأرفه لي \* إيناس خنسه

المحرّر العامّ

فيليب كيندي

المكتبة  
العربية  
للناشئة

هاتف: +971 2 628 5161

أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة



مكتبة الجامعة  
• UNIVERSITY BOOKSHOP •  
EST. 1979

هاتف: +971 2 441 0446

البريد الإلكتروني: info@univbookshop.com

أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة

© كافة حقوق النشر محفوظة لجامعة نيويورك أبوظبي

التصنيف العربي: E - تصنيف وتحديد الفئة العربية التي تلازم محتوى الكتاب وفقاً لنظام التصنيف العربي الصادر عن المجلس الوطني للإعلام.

تمت الموافقة على الطباعة من المجلس الوطني للإعلان بإذن طباعة رقم MC-10-01-3041065

الترقيم الدولي: 978-9948-8588-4-3

# المحتويات

٨	مقدمة
١٢	الصداقة وأنواعها: فلين هذا من ذاك؟
١٦	الصديق: لفظٌ بلا معنى
٢٢	فقد الصديق: ما أَوْحَشَ الدارَ بَعْدَكَ
٣٠	أُطْلِبُ لِي رَافِقًا
٣٦	اختيار الأصدقاء: لا تَسْتَكْبِرَنَّ مِنَ الصِّحَابِ
٤٢	إخوان السوء والأشرار: أعداءٌ غَيْبٍ، إخوةٌ تَلَاقٍ
٥٠	النصيحة: أهديتَ إلي عيوي
٥٢	لقاء الصديق: أتبتسم كأنك آمين؟
٥٦	عتاب الأصدقاء: رأيتُ الهجرَ مَبْدُؤَهُ العتابِ
٦٠	آداب الصداقة: عاشر أخاك على ما كانَ مِنْ حُلُقٍ
٧٠	خطاب الأصدقاء: إِنَّ القلوبَ تَبْجَرِي
٧٤	خاتمة
٧٦	المصادر

وصفات الصديق، وحضوره وغيابه وفقده وطلبه، وكيفية اختيار الأصدقاء، والتحذير من إخوان السوء، وتناصح الأصدقاء ولقائهم وعتابهم وخطابهم، وآداب الصداقة.

تبتغي هذه المختارات، فيما تبتغيه، علاوة على إبراز قيم الصداقة وأهميتها عند العرب، وكافة شعوب الأرض، أن تعرف الناشئة بأشكال أدبية عربية متنوعة، وأن تسلط الضوء على خصائص الأدب العربي القديم عامة. إن اهتمامنا هنا ينصب على استخلاص سمات المصنفات الأدبية، دون أي إضفاء أو تغيير، لكي نُبرز بوضوح التعددية التي اُتسم بها الأدب العربي في العصر الوسيط، من خلال تنوع الصيغ المعرفية والأنواع الكتابية. فنتبع بالقراءة تناقل الأحداث والأخبار من راولاً آخر، ومن زمن لآخر، ونلمس التواصل بين الأجيال الذي لا انقطاع فيه، ونختبر تجاور الشفوي المسموع والنص المكتوب، وامتزاجهما، وتفاعلهما في الحياة الثقافية العربية على مر العصور. وسيتعرض القراء خلال مطالعتهم إلى أشكال أدبية مختلفة كالخبر والمثل والقول والنادرة والسرد والنصيحة والرسالة والخطبة وغيرها، قد يستهوبهم بعضها أكثر من بعضها الآخر، غير أنها جميعاً تعبر عن قيمة الصداقة الرفيعة التي احتفل بها أدباء العربية.

ولعل من أبرز ما يميز مفهوم الصداقة كما قدمها أدب العصر العربي الوسيط هو أنه قدم أفكاراً وأثار أسئلة، بعضها يندرج في المعيش اليومي، وبعضها يندرج في منظومة المفاهيم المجردة، وكلها تثير بدورها الدعوة إلى البحث والتنوع والاستمرار في آن واحد. وإتانا نأمل أن يكون هذا الكتاب خطوة على طريق استمرار التواصل والتنوع والإبداع، لنا، ولأجيالنا الشابة، وأجيالنا القادمة أيضاً.

## مقدمة

يوماً بعد يوم نتأكد من أن الحوار مع «نصوص» التراث لن ينقطع، ولن ينتهي. تلك النصوص، بكافة أجناسها، كُتبت لقراء عصرها، أي لذائقة غير ذاتتنا، جمالياً وتاريخياً، فكيف لذائقتنا المعاصرة الآن أن تتعامل مع سياقاتها، وحالاتها الخاصة، وقيمتها، وخصوصية مرحلتها؟ أسئلة تترافق مع المختارات التي انتقيناها عن الصداقة في الأدب العربي والتي عنوانها «بوح المرجان في اختيار الخُلان».

جاء في كلام العرب قديماً أن المستحيلات ثلاثة وهي: الغول والعنقاء والحلّ الوفي. فهل يعبر هذا القول عن استحالة الصداقة عند العرب؟ يرد في كتب التراث العربي العديد من النصوص التي احتفلت بالصداقة وقصص الأصدقاء. وقد تناول الفلاسفة العرب مفهوم الصداقة شأنهم شأن الإغريق وغيرهم من الأمم. يتناول هذا الكتاب من سلسلة المكتبة العربية للناشئة مفهوم الصداقة كما عرفها العرب، وكما أظهرتها الثقافة العربية، والكتابات التي وصلتنا من العصر الوسيط. حصرنا اختياراتنا في ثلاثة كتب من القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، وهي: الصداقة والصديق للأديب الصوفي الفيلسوف أبي حيان التوحيدي (ت ٤١٤هـ/١٠٢٣م) وتهذيب الأخلاق للفيلسوف المؤرخ أبي علي بن محمد مسكويه (ت ٤٢١هـ/١٠٣٠م)، وترجمة الكاتب في أدب الصحاح المنسوب للأديب أبي منصور الثعالبي (ت ٤٢٩هـ/١٠٣٨م). يجمع الكتاب أقوالاً وأخباراً وقصصاً ورسائل وأشعاراً تُعنى بالصداقة وأنواعها،

يستقي هذا الكتاب مادته من عدد من المصادر ليقدم تصوراً نصيباً للصدقة، وهو بذلك يحاكي كتب الاختيار في التراث العربي، لذا ارتأينا اختيار عنوان يحاكي عناوين الكلاسيكية لكتب التراث ويرتكز على ثنائية مسجعة. وختاماً نود أن نشكر الأكاديمية العربية الألمانية للعلماء الشباب لدعمها هذا العمل، ونجدد شكرنا الدائم للمكتبة العربية في جامعة نيويورك أبوظبي لإيمانها بهذا المشروع وسعيها المتواصل لنشره وإنجاحه.

بلال الأرفه لي وإيناس خنسه

والصداقة نوع من المحبة إلا أنها أخص منها وهي المودة بعينها، وليس يمكن أن تقع بين جماعة كثيرين كما تقع المحبة. فأما العشق فهو إفراط في المحبة، وهو أخص من المودة، وذلك أنه لا يمكن أن يقع إلا بين اثنين فقط، ولا يقع في النافع ولا في المركب من النافع وغيره، وإنما يقع لمحبة اللذة بإفراط ومحبة الخير بإفراط، وأحدهما مذموم أعني اللذة والآخر محمود أعني الخير.

فالصداقة بين الأحداث ومن كان في مثل طباعهم إنما تحدث لأجل اللذة. فهم يتصادقون سريعاً ويتقاطعون سريعاً، وربما اتفق ذلك بينهم في الزمان اليسير مراراً كثيرة، وربما بقيت بقدر ثقتهم ببقاء اللذة ومعاودتها حالاً بعد حال، فإذا انقطعت هذه الثقة بمعاودتها انقطعت الصداقة للوقت وفي الحال.

والصداقة بين المشايخ ومن كان في مثل طباعهم إنما تقع لمكان المنفعة، فهم يتصادقون بسببها. فإذا كانت المنافع مشتركة بينهم وهي في الأكثر طويلة المدّة، كانت صداقاتهم باقية، فحين تنقطع علاقة المنفعة المشتركة بينهم وينقطع رجاؤهم منها تنقطع موداتهم.

## الصداقة وأنواعها: فأين هذا من ذلك؟



والصدقة بين الأختيار تكون لأجل الخير، وسببها هو الخير، ولما كان الخير شيئاً ثابتاً غير متغير الذات صارت مودات أصحابها باقية غير متغيرة. (تهذيب الأخلاق ١٣٧-١٣٨)

وقال بُرَّجْمَهْرُ: الإخوان كالسلاح، فمنهم من يجب أن يكون كالرُّح يُطعن به من بعيد، ومنهم كالسهم يُرمى به ولا يعود إليك، ومنهم كالسيف الذي لا ينبغي أن يفارقك. (الصدقة والصديق ٦٤)

قال الأعمش: أدركت أقواماً كان الرجل منهم لا يلقي أخاه شهراً وشهرين فإذا لقيه لم يزد على كيف أنت، وكيف الحال، ولو سأله شَطَرَ ماله لأعطاه، ثم أدركت أقواماً لو كان أحدهم لا يلقي أخاه يوماً سأله عن الدجاجة في البيت، ولو سأله حبة من ماله لمَنَعَه. (الصدقة والصديق ٩٨)

قيل لأعرابي: أبالصديق أنت أنس أم بالعشيق؟ فقال: يا هذا، الصديق لكل شيء، للجد والهزل، وللقليل والكثير، ولا عاذل عليه، ولا قاذح فيه، وهو روضة العقل، وغدير الرُّوح. فأما العشيق فإتما هو للعين، وبعض الريبة، والعدل إليه من أجله سريع، وفي الوُلوغ به إفراطٌ منجور عنه، وحدٌ موقوف دونه، فلين هذا من ذلك؟ (الصدقة والصديق ١١٩)







الصديق:  
لفظ بلا معنى

وقبل كل شيء ينبغي أن نثق بأنه لا صديق، ولا من يتشبهه بالصديق، ولذلك قال جميل بن مُرّة في الزمان الأوّل حين كان الدّين يُعانق بالإخلاص، والمروءة تتهادى بين الناس، وقد لزم قعر البيت، ورفض المجلس، واعتزل الخاصّة والعامة، وعوتب في ذلك فقال: لقد صحبْتُ الناس أربعين سنة فما رأيتهم غفروا لي ذنبًا، ولا استروا لي عيبًا، ولا حفظوا لي غيبًا، ولا أقالوا لي عثرة، ولا رجحوا لي عبْرَةَ، ولا قبلوا مني عذْرَةَ، ولا فكّوني من أسْرَةَ، ولا جبروا مني كسْرَةَ، ولا بذلوا لي نُصْرَةَ، ورأيت الشُّغل بهم تضييعًا للحياة، وتباعدًا من الله تعالى، وتجرعًا للغیظ مع الساعات، وتسليطًا للهوى في الهنات بعد الهنات، ولذلك قال الثّوريّ لرجل قال له: أوصني قال: أنكر من تعرفه، قال: زدني، قال: لا مزيد. (الصدّاقة والصدیق ٣٦)

وكان العَبْدِيّ يقول كثيرًا: الصدّاقة مرفوضة، والحفاظ معدوم، والوفاء اسم لا حقيقة له، والرعاية موقوفة على البذل، وأما الكرم فقد مات، والله يجي الموتى! (الصدّاقة والصدیق ٣٧)

أخبرنا الطبراني، قال: سمعتُ عبد الله بن المعتز يقول: قال بعض الملاح: إن الناس قد مُسِحُوا خنازير، فإذا وجدت كلبًا فتمسك به. (الصدّاقة والصدیق ٤٩)

قيل لروح بن زنباع: ما معنى الصديق؟ قال: لفظ بلا معنى. (الصدّاقة والصدیق ٥٢)

قال أفلاطون: صديق كل امرئ عقله، وعدوه جهله. (الصدّاقة والصدیق ١٨٤)

قيل لأعرابي: ألك صديق؟ قال: أما صديق فلا، ولكن نصف صديق، قيل: فكيف انتفاعك به؟ قال: انتفاع العريان بالثوب البالي. (الصدّاقة والصدیق ٨٧)

قال مالك بن دينار: إخوة هذا الزمان مثل مرّة الطباخ في السوق: طيب الريح لا طعم له. (الصدّاقة والصدیق ٩٩)

روت الثقات بإسناد رفعوه عن جابر بن يزيد قال: دخلتُ على الصادق رضي الله تعالى عنه فقلت له: أوصني، فقال: أقلل معرفة الناس. فقلت: زدني. قال: إذا كان لك مئة صديق فاطرح منهم تسعة وتسعين وكن من الواحد على وجل. (ترجمة الكاتب ٥٥)

وقال بعض الرهبان لرجل: إن استطعت أن تجعل بينك وبين الناس سوراً من حديد فافعل، وانظر كل جليس وصاحب لا تستفيد منه في دينك خيراً فانبذ صحبته عنك.  
(ترجمة الكاتب ٥٨)

وقال: الوحشة من الناس على قدر الفطنة بهم. (ترجمة الكاتب ٨٠)

قال القرباني محمد بن يوسف: قلتُ للثوري: إني أريد الشام فأوصني. قال: إن قدرت أن تُنكر كل مَنْ تعرف فافعل، وإن استطعت أن تستفيد منه أخ، حتى إذا خَلَصُوا لك تُسقط منهم تسعة وتسعين وتكون في الواحد شاكاً فافعل. (الصداقة والصديق ١١١)

وقال الشاعر [من الرجز]:

الناسُ أشباهُ السِّباعِ فَانْتَمِرْ  
فَإِنَّهُمْ الذِّبُّ وَمِنْهُمْ النَّمِرُ  
وَالضَّبْعُ الْعَوَاءُ وَاللَيْثُ الْمِرُّ

(الصداقة والصديق ١١٤)

فقد الصديق:  
ما أوحش الدار بعدكم

وقال الخليل بن أحمد: الرجل بلا صديق كاليمين بلا شمال. (الصداقة والصديق ٤٥)

وقيل للخليل: استفساد الصديق أهون من استصلاح العدو؟ قال: نعم، كما أن تخريق الثوب أهون من نسجه. (الصداقة والصديق ٤٥)

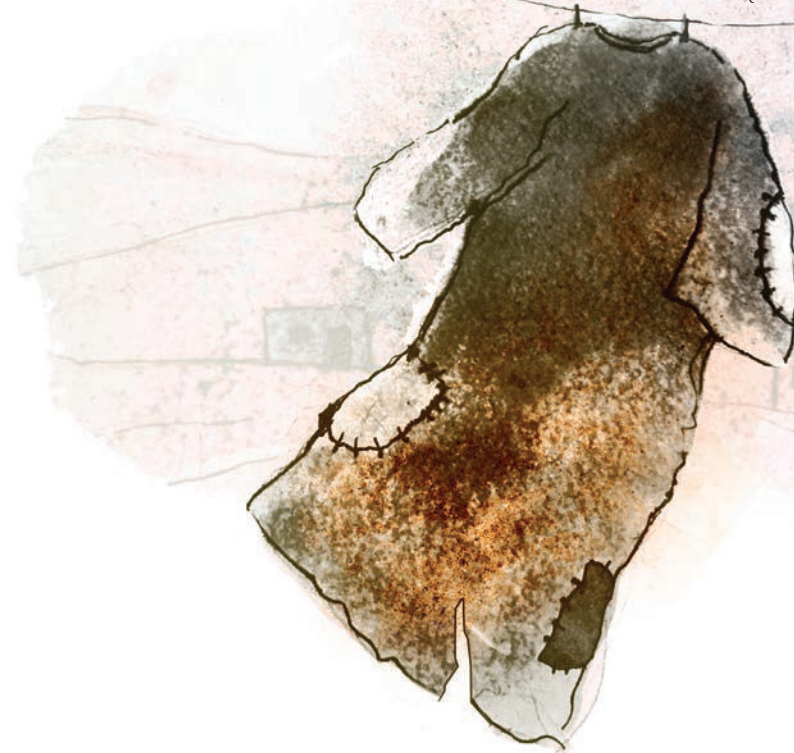
وقال يونس بن عُبيد: ليس للملوك صديق. (الصداقة والصديق ٣٠١)

آخر [من مجزوء الكامل]:

لَعَيْرِكَ عَنكَ مُتَّقِلٌ؟  
تُقَلَّتْ فَسَلَّكَ الرَّجُلُ

أَتَجَبُّ إِنْ جَفَاكَ أَحٌّ  
فَلَا تَجَبُّ بِجَفْوَتِهِ

(الصداقة والصديق ١٦٣)



قيل لِبُرِّرِجْمَهْرَ: ما بال معاداة الصديق أقرب مأخذاً من مصادقة العدو؟ قال: لأن إنفاق المال أهون من كسبه، وهدم البناء أسهل من رفعه، وكسر الإيلاء أيسر من إصلاحه. (الصداقة والصديق ٦٣)

لآخر: أحب حبيك هوناً ما، عسى أن يكون بغيضك يوماً ما، وأبغض بغيضك هوناً ما، عسى أن يكون حبيبك يوماً ما. (الصداقة والصديق ١٤٥)



آخر [من الكامل الأَحَد]:

وَدَلَا تُلُّ الْهَجْرَانَ لَا تَحْنَفِي ؟  
وَلَقَدْ عَهْدْتُكَ تَذَكُّرَ الْإِلْفَاءِ ؟

مَا لِي جُفَيْتُ وَكُنْتُ لَا أُجْفَى  
مَا لِي أَرَاكَ نَسَيْتَنِي بَطْرًا

(الصداقة والصديق ١٦٣)

آخر [من الطويل]:

إِذَا صَدَّ عَنِّي ذُو الْمَوَدَّةِ أَحْرَبُ  
لَهُ مَذْهَبٌ عَنِّي فَلِي عَنْهُ مَذْهَبُ  
بِمُتَصَرِّفٍ آثُو عَلَيْهِ وَأَكْذِبُ  
بِهِ النَّفْسُ لَا وَدُّ آتَى وَهُوَ مُتَعَبُ

وَمَا أَنَا بِالنَّكْسِ الدَّيِّءِ وَلَا الَّذِي  
وَلَكِنِّي إِنْ دَامَ دُمْتُ، وَإِنْ يَكُنْ  
وَلَسْتُ إِذَا ذُو الْوَدِّ وَلِيَ بُوْدِهِ  
أَلَا إِنْ خَيْرَ الْوَدِّ وَدُّ تَطَوَّعَتْ

(الصداقة والصديق ١٣٠)

وقال الحسن: ما تحابَّ اثنان ففرق بينهما إلا ذنب يُحدثه أحدهما.

(الصداقة والصديق ٢٤٤)

وقال ابن المقفع: لا صديق لثلاثة: للميت، والفقير، والمحبوس. (الصداقة والصديق  
(٢٦٤)

وقال فيلسوف: لا تقطع أحداً إلا بعد عجز الحيلة عن استصلاحه، ولا تتبعه بعد  
القطيعة وبيعةً فينسد طريقه عن الرجوع إليك، فلعل التجارب تردّه إليك، وتصلحه لك.  
(الصداقة والصديق ١٨٣)

شاعر [من الطويل]:  
أجيراننا ما أوحش الدار بعدك  
إذا غبته عنها ونحن حضور  
(الصداقة والصديق ٣٣٦)

وأيضاً فقد بينّا فيما تقدّم أنّ الإنسان مديني بالطبع، وشرحنا معنى المديني، فأذن بالواجب يكون تمام سعادته الإنسانية عند أصدقائه. ومن كان تمامه عند غيره، فمن المحال أن يصل مع الوحدة وبالتفرد إلى سعادته التامة. فالسعيد إذن من اكتسب الأصدقاء واجتهد في بذل الخيرات لهم، ليكتسب بهم ما لا يقدر أن يكتسبه بذاته فيلتذّب بهم أيام حياته ويلتذّن أيضاً به. وقد شرحنا حال هذه اللذة وأنها باقية إلهية غير منحلة ولا متغيرة. وهؤلاء في جملة الناس والجمهور منهم قليل جداً. فأما أصحاب اللذات البهيمية والنافع منها فكثير جداً. وقد يكفي من هؤلاء بالقليل كالأبازير في الطعام وكالمخ خاصة. (تهذيب الأخلاق ١٥٥)

## أُطَلِّبُ لِي رَفِيقًا

وأرسطوطاليس يقول: إنّ الإنسان محتاج إلى الصديق عند حسن الحال وعند سوء الحال، لحاجته إليه في كلتا الحالتين. وذلك أنّه عند سوء الحال يحتاج إلى معونة الأصدقاء، وعند حسن الحال يحتاج إلى الموائمة وإلى من يحسن إليه. ولعمري إنّ الملك العظيم يحتاج إلى من يصطنعه ويضع إحسانه عنده، كما أنّ الفقير من الناس يحتاج إلى صديق يصطنعه ويضع عنده المعروف. قال: ومن أجل فضيلة الصداقة يشارك الناس بعضهم بعضاً ويتعاشرون عشرة جميلة، ويداعب بعضهم بعضاً ويجمعون في الرياضات والصيد والدعوات. (تهذيب الأخلاق ١٥٦)



وقال النبي صلى الله عليه وسلم: المرء على دين خليله؛ فلينظر أحدكم من يُخالل.  
(ترجمة الكاتب ٦١)

قيل لمسور بن محرمة الزُهري: أيُّ الندماء أحبُّ إليك؟ قال: لم أجد نديماً كالحائط؛ إن بصقتُ  
في وجهه لم يفض علي، وإن أسررتُ إليه شيئاً لم يُفشه عني. (الصداقة والصديق ٥٥)

عبد الرحمن بن حسان [من الطويل]:

وَمُتَّخِذٍ وَدًّا لَمَنْ لَا يُوَدُّهُ  
وَمُسْتَوْقِدٍ حَرَبًا عَلَى غَيْرِ ثَرْوَةٍ  
وَعَاشٍ بِعَيْنَيْهِ لَمَنْ لَا يُبَالِيهِ

(الصداقة والصديق ٢٢٨)

وقال أعرابي: بالمدارة تستخرج الحية من جحرها، وتستنزله الطائر من الهواء، وتقتص  
الوحش من البيداء. (الصداقة والصديق ٢٢٨)

شاعر [من الطويل]:

أَخَاكَ أَخَاكَ إِنَّ مَنْ لَا أَخَالَه

(الصداقة والصديق ٣٠٦)

كَسَاعٍ إِلَى الْهَيْجَاءِ بغيرِ سِلَاحٍ

وقال الحسن: لا تَشْتَرِ مَوَدَّةَ أَلْفِ بَعْدَاوَةٍ وَاحِدٍ. (الصدّاقة والصدّيق ٢٤٤)

أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن علي الهَمَّيُّ قال: حدّثنا أبو داود الطائي قال: جاء رجل إلى حماد بن زيد فقال له: يا أبا سعيد، اطلب لي رفيقًا إلى مكة، ما بينك وبين سنة، فلما جاء الحوّل جاء رجل إلى حماد فقال: أنا أطلب رفيقًا إلى مكة منذ سنة، فجمع بينهما فضيا إلى ابن عَوْنٍ فودّعهما وقالاه: أوصنا، قال: أوصيكما بمخصلتين، قالوا: وما هما؟ قال: كظْمُ الغيظ، وبذْلُ المال، قال: فأتى أحدهما في منامه أنّ ابن عَوْنٍ أهدى لهما حُلَّتَيْنِ. (الصدّاقة والصدّيق ١٧٧-١٧٨)

وقال الحارث الهمداني: أتيت أمير المؤمنين عندما أصيب بنفسه، فقلت له: يا ابن عمّ رسول الله، ما أراك إلا ميتًا! قال: أجل والله يا حارث! فقلت: يا أمير المؤمنين، أوصني من أصحاب من الناس بعدك؟ قال: نعم، أجلسوني. فأجلس فتشهد طويلًا ثمّ تنفس الصعداء، ثمّ قال: يا حارث، اصحب من إن صحبته زانك، وإن خدمته صانك، وإن عرّتك مؤونة مانك، اصحب من لا يُظهر عليك البوائق، ولا يفشي عليك السرائر، اصحب من ينشر معروفه عليك. (ترجمة الكاتب ١٠٨)

وإذ قد عرفنا هذه النعمة الجليلة الخطيرة فقد وجب علينا أن ننظر كيف نقتنيها ومن أين نطلبها، وإذا حصلت لنا كيف نحفظ بها لئلا يصبينا فيها ما أصاب الرجل الذي ضرب به المثل، حين طلب شاة سمينة فوجدها وارمة فاغتر بها وظن الورم سمناً، فأخذه الشاعر فقال [من البسيط]:  
أُعِيدُهَا نَظْرَاتٍ مِثْكَ صَادِقَةٌ      أَنْ تَحْسَبَ الشُّحْمَ فِيمَنْ شَحْمُهُ وَرَمٌ  
(تهذيب الأخلاق ١٥٧)

والطريق إلى السلامة من هذا الخطر بحسب ما أخذناه عن سقراطيس: إذا أردنا أن نستفيد صديقاً أن نسأل عنه كيف كان في صباه مع والديه ومع إخوته وعشيرته، فإن كان صالحاً معهم فأرجّح الصلاح منه، وإلا فابعد منه وإياك وإياه. قال: ثم اعرف بعد ذلك سيرته مع أصدقائه قبلك، فأضفها إلى سيرته مع إخوته وأبائه، ثم تتبع أمره في شكر من يجب عليه شكره أو كفره النعمة - ولست أعني بالشكر المكافأة التي ربما عجز عنها بالفعل، ولكن ربما عطل نيته في الشكر فلا يكتفي بما يستطيع وبما يقدر عليه، ويعتذر الجميل الذي يسدى إليه ويراه حقاً له أو يتكاسل عن شكره باللسان. وليس أحد يتعذر عليه ذكر النعم التي تتولاه والثناء على صاحبها والاعتداد له بها، وليس شيء أشد إحباطاً للنعمة من الكفر، وحسبك ما أعدّه الله للكافرين من العقاب مع تعاليه عن الاستمرار بالكفر. ولا شيء أجلب للنعمة ولا أشد تثبيتها لها من الشكر، وحسبك ما وعد الله به الشاكرين مع استغنائهم عن الشكر، فعرّف هذا الخلق ممن تريد مواخاتة. واحذر أن تبثلي بالكفور للنعم المستحق لأيدي الإخوان وإحسان السلطان.

## اختيار الأصدقاء: لا تستكثرن من الصّحاب

ثم انظر إلى ميله إلى الراحة وتباطئه عن الحركة التي فيها أدنى نصب، فإن هذا خلق رديء، ويتبعه الميل إلى اللذات فيكون سبباً للتقاعد عما يجب عليه من الحقوق. ثم انظر نظراً شافياً في محبته للذهب والفضة واستهتاره بجمعهما وحرصه عليهما، فإن كثيراً من المتعاشرين يتظاهرون بالمحبة ويتهادون ويتناصحون، فإذا وقعت بينهم معاملة في هذين المحجرين هرب بعضهم على بعض هير الكلاب، وخرجوا إلى ضروب العداوات.

ثم انظر في محبته للرئاسة والتفريط، فإن من أحب الغلبة والترؤس وأن يفرط لا ينصفك في المودة ولا يرضى منك بمثل ما يعطيك، ويحمله الخيلاء والتهيه على الاستهانة بأصدقائه وطلب الترفع عليهم. وليس يتم مع ذلك مودة ولا غبطة، ولا بد من أن يؤول الحال به معهم إلى العداوات والأحقاد والأضغان الكثيرة. (تهذيب الأخلاق ١٥٨-١٥٩)

وأيضاً فإن من كثراً أصدقاؤه لم يف بحقوقهم، واضطر إلى الإغضاء عن بعض ما يجب عليه والتقصير في بعض، وربما ترادفت عليه أحوال متضادة، أعني أن تدعوه مساعدة صديق أن يسر بسروره ومساعدة آخر أن يغم بغمه، وأن يسعى بسعي واحد ويقعد بقعود آخر مع أحوال تشبه هذه كثيرة مختلفة.

ولا ينبغي أن يحملك ما حضضتك عليه من طلب الفضائل فيمن تصادقه على تتبع صغار عيوبه، فتصير من ذلك إلى أن لا يسلم لك أحد وتبقى خلواً من الصديق، بل يجب أن تفضي عن المعايب اليسيرة التي لا يسلم من مثلها بشر، وتنظر ما تجده في نفسك من عيب فتتمثل مثله من غيرك. واحذر عداوة من صادقه أو خالطته مخالطة الصديق، واسمع قول الشاعر [من الوافر]:

عَدُوُّكَ مِنْ صَدِيقِكَ مُسْتَفَادٌ  
فَإِنَّ الدَّاءَ أَكْثَرُ مَا تَرَاهُ  
فَلَا تَسْتَكْثِرَنَّ مِنَ الصَّحَابِ  
يَكُونُ مِنَ الطَّعَامِ أَوِ الشَّرَابِ

(تهذيب الأخلاق ١٦٠)

وقال عدي بن زيد الشاعر [من الطويل]:  
عَنِ الْمَرْءِ لَا تَسْأَلُ وَأَبْصِرْ قَيْنَهُ  
(الصدقة والصديق ٨١)

فَكُلُّ قَرِينٍ بِالْمُقَارَنِ مُقْتَدِي

وقيل: إذا أردت أن تعرف وفاء الرجل ودوام عهده، فانظر إلى حنينه إلى أوطانه، وتشوقه إلى إخوانه، وبكائه على ما مضى من زمانه. (ترجمة الكاتب ٧٧)

وسئل الجنيّد الصوفي: من تصحب؟ قال: من قدر أن ينسى ما له ويقضي ما عليه. (الصدقة والصديق ٢٦٥)

اختيار الأصدقاء: لا تستكبرن من الصَّحاب

اختيار الأصدقاء: لا تستكبرن من الصَّحاب



ومن غش المحبة والصدقة كان أسوأ حالاً ممن غش الدرهم والدينار، فإن الحكيم  
ذكر أن المحبة المغشوشة تنحل سريعاً وتفسد وشيخاً، كما أن الدرهم والدينار إذا كانا  
مغشوشين فسدوا سريعاً. (تهذيب الأخلاق ١٥٠)

وفي كليلة ودمنة: صحبة الأختيار تورث الخير، وصحبة الأشرار تورث الشر،  
كالريح إذا مرت على النتن حملت نثناً، وإذا مرت على الطيب حملت طيباً. (الصدقة  
والصديق ٥٤)

## إخوان السوء والأشرار: أعداءٌ غَيْبٍ، إخوةٌ تلاق

قيل لأبي علي النصير: لم لا تتخذ الأصدقاء؟ قال: حتى أفرغ من الأعداء، فوالله لقد شغلوني بأنفسهم عن كل صديق يُعيني عليهم، وإحالة العدو عن العداوة أولى من استدعاء الصداقة من الصديق. (الصداقة والصديق ٨٧)

آخر [من المنسرح]:

الناس من خادع ومُحتدع  
تعمأ ملوا بالخداع بينهم  
وكلهم مانع لما حازا  
ما جور الناس بينهم جازا  
(الصداقة والصديق ١٢٣)

قيل لعبد الله بن المبارك: إن قوماً يلتقون بالبشر والسلام فإذا تفرقوا طعن بعضهم على بعض. فقال: أعداء غيب، إخوة تلاق، تباً لهذه الأخلاق، كأنما شقت من النفاق. (الصداقة والصديق ١٣٤)

وقلت لأبي سليمان: لم صار التنافس والتعادي وما أشبههما في ذوي القربى أكثر وأشد، وهذا كالشيء المتعالم، وهو غني عن البرهان وإعادة القول والبيان، وليس ذلك كذلك مع الأجانب والأبعد، فإن كان كالشاذ كما أن التصافي والتخالص أيضاً في ذوي الرحم كالشاذ؟ فقال: إن ذوي القرابة والرحم والنسب يرى كل واحد منهم أنه أولى وأحق بمحاربة ما لا يبه وعمته، وأن غيره في ذلك كالمراجم والدخيل والمتدلي، فمخبره أعراض كثيرة من الحسد والغيرة والتنافس، على أن يكون هو وحده حاوياً لتلك الموارث من المال والجاه والقدر والمنزلة، وهذه الأعراض لا تعترى الإنسان في البعيد والنسب والبلد واللغة والصناعة والحلق. وكان كلامه أكثر من هذا الكتي أو جزئه لأن الرسالة قد طالت، وأخاف أن تمل عند القراءة، ويُنسب وأضعها إلى سوء الاختيار. (الصداقة والصديق ١٢٥)

آخر [من الطويل]:

ولقوني بالبشر ما دمت فيهم  
وأغضي على أشياء منهم تُربني  
فإن غبت عنهم قطعوا الجلد بالسب  
ولولا اصطباري فاض من عظمها قلبي  
(الصداقة والصديق ١٣١)

وقال فيلسوف: اجتنب مصاحبة الكذاب، فإن اضطرت إليها فلا تصدقه، ولا تعلمه أنك تكذبه فينتقل عن ودك ولا ينتقل عن طبعه. (الصداقة والصديق ١٨٣)

وقال آخر: إخوان الشر كشجرة النار يحرق بعضها بعضاً. (الصداقة والصديق ٢٧٢)



وَحَدَّثْتُ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِسَفِيانَ الثَّوْرِيِّ: أَوْصِنِي! فَقَالَ: أَقَلَّ مَعْرِفَةَ النَّاسِ، وَأَنْبَرَ مِنْ تَعْرِفِهِ مِنْهُمْ، وَابْدَأْ بِي، وَأَعْضِبْ مَنْ شِئْتَ وَدُسَّ مَنْ يَسْأَلُهُ. فَوَاللَّهِ لَوْ لَاحَيْثُ رَجُلًا فِي زَمَانِهِ فَغَضِبَ لَمَّا أَمِنْتُ أَنْ يَتْرَامِي بِهِ غَضَبُهُ إِلَى سَفْكِ دَمِي، وَأَفْرَطَ - أَعْرَكَ اللَّهُ - مُفْرَطٌ فِي هَذَا الزَّمَانِ فَقَالَ: لَا أَقُولُ كَمَا قَالَ سَفِيانٌ لِقِصَّانٍ دَهْرًا عَنْ دَهْرِهِ، وَلَكِنِّي أَقُولُ: أَرْضُ مَنْ شِئْتَ وَدُسَّ مَنْ يَسْأَلُهُ عَنْكَ، وَمَا أَنْبَرَ لِكَثْرَةِ الشَّرِّ فِي النَّاسِ أَنْ يَكُونَ جَوَابُ كَثِيرٍ مِمَّنْ يَرْضَى مِثْلَ جَوَابِ مَنْ يَغْضِبُ، إِلَّا أَنِّي أَرْجُو أَنْ لَا تَكُونَ هَذِهِ الْقَضِيَّةُ عَامَّةً.

(الصدقة والصديق ٣٠٨-٣٠٩)

وقال فيلسوف: إخوان السوء ينصرفون عند النكبة، ويُقبلون مع النعمة، ومن شأنهم التوسل بالإخلاص والمحبة إلى أن يظفروا بالأُنس والأمن والثقة، ثم يُوكِّلون الأعين بالأفعال، والأسماع بالأقوال، فإن رأوا خيراً ونالوه لم يدكروه ولم يشكروه، وإن رأوا شراً وظنوه أذاعوه ونشروه، فإن أدمت مواصلتهم فهو الداء المُعْضِلُ الخوفُ على المقاتل، وإن استرحت إلى مُصارمتهم ادَّعوا الخبرة بك لطول العشرة لك، فكان كذبُ حديثهم مُصدِّقاً، وباطلهم مُحققاً. (الصدقة والصديق ١٨٤)





وقيل: كثرة ذنوب الصديق تمحو السرور به وتسلط الهم عليه. وقيل: إذا انقطع رجاؤك من صديقك فألحقه بعدوك. وقيل: لا تصح الصداقة إلا بالوفاء، كالقول لا يصح إلا بالعمل. (ترجمة الكاتب ٧١)

وقال أمير المؤمنين عليّ كرم الله وجهه: إياك ومصادقة ثلاثة: الأحمق، والكذاب، والفاجر. فأما الأحمق فإنه يريد أن ينفَعَكَ فيضرك، وأما الكذاب فإنه يقرب عليك البعيد، ويُبعد القريب وأما الفاجر فإنه أوثق ما يكون منه قد خانك. (ترجمة الكاتب ٦٨-٦٩)

وقال أفلاطون: الأشرار يتبعون مساويئ الناس ويتركون محاسنهم، كما يتبع الذباب المواضع الفاسدة من الجسد ويترك الصحيح. (ترجمة الكاتب ١٠١)

وقال لقمان الحكيم: يا بُنيّ إذا أردت أن تسلم من لينة الحاسد فاسترأمورك عنه ونعمتك. (ترجمة الكاتب ١١٨)

وقال آخر [من البسيط]:

إني حسدتُ فإذ الله في حسدي لا عاشَ مَنْ عاشَ يوماً غير محسودٍ  
لا يُحسدُ المرءُ إلا عن فضائله بالعلم، والحلم، والنعاء، والجود

(ترجمة الكاتب ١١٩)

وقيل: ليس بخيل لذة، ولا لحسود راحة. (ترجمة الكاتب ١٢٠)



وقيل: ثلاثة لا تُعَدُّم الفائدةُ فيهنَّ: مشاورة النُصحاء، ومباشرة الفصحاء، ومجاورة السُّخَاء. وقيل: الناصح لك هو المشفق عليك. (ترجمة الكاتب ١٠٤)

وقال رجل لبعض الخلفاء: أنا والله أخوك. فقال: كذبتِ لو كنتِ صادقاً لأهديتِ إليَّ عيوي! وقيل: الناصح من أهدى إلى أخيه عييه، وحفظ له غييه. وقيل: أنفع ما تكون النصيحة ممن كان لنفسه ناصحاً، وللناس من ناصحاً، وعن المساوي نازحاً، فهو لأبواب الخير فاتحاً. (ترجمة الكاتب ١٠٥)

وقال رجل لعمر بن الخطاب: والله إنِّي لأحبك في الله، قال: لو كنتِ كما تقول لأهديتِ إليَّ عيوي. (الصدقة والصديق ٢٤٣)

وقال أعرابي: نُصِّحُ الصديق تأديب، ونُصِّحُ العدو تأنيب. (الصدقة والصديق ١٧١)

## النصيحة: أهديت إلى عيوي

لقاء الصديق: أتبتسم كأنك آمنٌ؟

وقال رجل لضيغم العابد: أشتهي أن أشتري داراً في جوارك حتى ألقاك كل وقت، قال  
ضيغم: المودة التي يُفسدها تراخي اللقاء مدخولة. (الصداقة والصديق ٣٩)

توفي ابن ليونس بن عبيد فقيل له: إن ابن عون لم يأتك. فقال: إنا إذا وثقنا بمودة أخ  
لا يضرنا أن لا يأتينا. (الصداقة والصديق ٩٥)

لقاء الصديق:  
أتبتسم كأنك آمنٌ؟

رُوي عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الأرواح جنودٌ مُجَنَّدَةٌ تتلاقى في الهواء، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف. (الصدقة والصديق ١٢٤)

قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما رواه لنا ابن شاهين: تصافحوا فإن التصافح يذهب غل الصدور، وتهادوا فإن الهدية تذهب السخيمة. (الصدقة والصديق ١٨١)

التقى يحيى بن زكريا وعيسى بن مريم عليهما السلام، فتبسم يحيى في وجه عيسى، وقطب عيسى في وجه يحيى؛ فقال عيسى ليحيى: أتبتسم كأنك آمن؟ فقال له يحيى: أتعبس كأنك قانط؟ فأوحى الله: إن ما فعله يحيى أحبُّ إلي. (الصدقة والصديق ٢٠٢)

آخر [من الطويل]:

صديقاً وإن أمسى مُغِبّاً على حقدٍ

ولاقٍ بِبَشْرٍ مَنْ لَقِيَتْ تَكُنْ لَهُ

(الصدقة والصديق ٢٤٠)

سمعتُ ابن كعب يقول: العتاب مذلة، وقل من بدأ به متظاهراً إلا وثاب عنه خاسراً،  
وربما أورت ما هو أضرب مما عتب عليه، ومن نكده أنه يضطرُّ إليه، وله وردٌ حلو،  
وصدر مرّ، وماخذ سهل، ومترك صعب، على أن المودة كلما كانت أخلص، كانت  
أعراضها المفسدة أكثر، وقد قال الأول [من الطويل]:  
وما أنا في عتبي بأول ذي هوى رأى بعض ما لا يشتهي فتعباً

## عتاب الأصدقاء: رأيتُ الهجر مبدؤة العتاب

ولقد أحسن الآخر في قوله [من الطويل]:  
إذا كنت في كل الأمور معاتياً  
فعيش واحداً أو صل أخاك فإنه  
(الصداقة والصديق ١١٥)

صديقك لم تلق الذي لا تعاتية  
مقاريف ذنب مرة ومجانبة

آخر [من الكامل]:

لا تظنن جوى بعثب إنه  
كالريح تغري النار بالإحراق  
(الصداقة والصديق ١١٦)

آخر [من الوافر]:

أردت عتابكم فصحت إني  
رأيت الهجر مبدؤة العتاب  
(الصداقة والصديق ١٢٣)

آخر [من الكامل]:

كنا نعاتبكم ليالي عودكم  
فالآن إذ ظهر التعتب منكم  
حلوا المذاق وفيكم مستعتب  
ذهب العتاب فليس عنكم مذهب  
(الصداقة والصديق ١٣٠)

شاعر [من الطويل]:

إذا أنا عاتبتم المأل فإتما  
فهبه ارعوى بعد العتاب ألم تكن  
أخطط في جار من الماء أحرفا  
مودته طبعاً فصارت تكلفاً؟  
(الصداقة والصديق ١٥٨)



يجب عليك متى حصل لك صديق أن تكثر مراعاته وتبالغ في تفقده، ولا تستهين باليسير من حقه عند مهمّة يعرض له أو حادث يحدث به. فأمّا في أوقات الرخاء فينبغي أن تلقاه بالوجه الطلق والخالق الرحب، وأن تظهر له في عينك وحركتك وبشاشتك وارتياحك عند مشاهدته إياك ما يزداد به في كل يوم وكل حال ثقةً بمودتك وسكوناً إلى غيبتك، ويرى السرور في جميع أعضائك التي يظهر السرور فيها إذا لقيك، فإنّ التحفي الشديد عند طلعة الصديق لا يخفى، وسرور الشكل بالشكل أمر غير مُشكّل.

(تهذيب الأخلاق ١٦٠-١٦١)

قال عيسى بن مريم عليه السلام فيما حدّثنا ابن الجليل الكاتبُ النصرانيّ لتلامذته: علامتكم التي تُعرفون بها أنكم منّي أن يودَّ بعضُكم بعضاً. (الصداقة والصديق ١٣٣)

وقال عيسى أيضاً لأيشوع تلميذه: أمّا الربُّ فينبغي أن تحبه بكل قلبك، ثمّ تحبّ قرينك كما تحبّ نفسك، قيل له: يبيّ لنا يا روح الله ما بين هاتين المحبّتين حتى نستعدّ لهما ببصيرة وبيان، قال: إنّ الصديق تحبه لنفسك، والنفس تحبها لربك، فإذا صنّت صديقك فلنفسك تصون، وإذا جدّت بنفسك فلربك تجود. (الصداقة والصديق ١٣٤)

وقال أبو إسحاق السبّعي: ثلاث يُصنّفن لك ودّ أخيك: السلام إذا لقيته، وأن تدعوه بأحبّ أسمائه، وأن لا تُماريه. (الصداقة والصديق ١٥٨)

## آداب الصداقة: عاشِرُ أخاك على ما كان من خُلُق

آخر [من البسيط]:

عاشز أخاك على ما كان من خلق      واحفظ مودته بالغيب ما وصلأ  
فأطول الناس عمأ من يريد أخا      ذا خلة لا يرى في وده خلا  
(الصداقة والصدیق ١٦٥)

قال الفضل بن يحيى: الصبر على أخ يُعتب عليه خير من أخ يستأنف مودته.  
(الصداقة والصدیق ١٧١)

وقيل لأبي العريب المصري: إذا كان الرجل يحب صاحبه، ويمنعه ماله، أكون صادقاً؟  
قال: يكون صادقاً في حبه، مقصراً في حقه. (الصداقة والصدیق ٩٩)

قال محمد بن علي بن الحسين الباقر رضي الله عنهم لأصحابه: أيدخل أحدكم يده في  
كُم صاحبه فإخذ حاجته من الدراهم والدنانير؟ قالوا: لا، قال: فلستم إذاً بإخوان.  
(الصداقة والصدیق ٤٤)

قيل لصوفي: صف لنا الصديق؟ قال: هو الذي إذا عرض لك بالمكروه، صرحت أنت  
له بالمحجوب، وإذا صرح لك بالمحجوب ساعدته عليه. (الصداقة والصدیق ٨٧-٨٨)

سمعتُ أحمد بن محمد الكاتب يحيى: قال العتابي: لا أحب رجلاً نقل إلي ما كرهت عن  
صديقي فغيرني له، ولا عن عدو فغلبني على طلب الانتصار منه، ومع ذلك فلم يسئني  
بأن واجهني بما ساءني سماعه. (الصداقة والصدیق ١١٠)



قال أبو غسان غنائة بن كليب: اجتمعت أنا ومحمد بن النضر الحارثي وعبد الله بن المبارك،  
والفضيل ورجل آخر فصنعت لهم طعاماً فلم يخالف محمد بن النضر علينا في شيء، فقال  
له ابن المبارك: ما أقل خلافاً! فأنشد [من الرمل]:

وإذا صاحبت فاصحب ما جداً      ذا حياءٍ وعفافٍ وكرم  
قوله للشَّيْءِ: «لا» إن قلت: لا      وإذا قلت: نعم قال: نعم  
(الصداقة والصديق ١١٣-١١٤)

وقال رجل من قريش: خالطوا الناس مخالطة إن غبتر حنوا إليكم، وإن مُمَّ بكوا عليكم.  
(الصداقة والصديق ٢١٢)

وقال قيس بن الخطيم [من الطويل]:

فإن ضيع الإخوان سراً فإنني      كؤومٌ لأسرار العشير أمين  
وعندي له يوماً إذا ما اتُّمَّنته      مكانٌ بسوداء الفؤاد مكين  
(الصداقة والصديق ٢٢٩)

قلت للهائم أبي علي: من تحب أن يكون صديقك؟ قال: من يطعمني إذا جعت،  
ويكسوني إذا عريت، ويحلمي إذا كَلَّت، ويفر لي إذا زَلَّت، فقال له علي بن الحسين  
العلوي: أنت إنما تريد إنساناً يكميك مؤونتك، ويكفك في حالك، كأنما تمثيت وكلاً  
فسميته صديقاً، فما أثار جواباً. (الصداقة والصديق ١٣٥-١٣٦)

وقلت للنبوي ولقيته بالدمسكرة سنة خمس وستين: من تحب أن يكون صديقك؟ قال:  
من يُقبلني إذا عثرت، ويُؤمِّنني إذا زوررت ويهديني إذا ضللت، ويصبر علي إذا مللت،  
ويكفيني ما لا أعلم وما أعلمت. (الصداقة والصديق ١٣٦)

وقال أبو بكر: خير إخوانك من آسأك، وخير منه من كفاك، وخير مالك ما أغناك،  
وخير منه ما وقاك. (الصداقة والصديق ١٧٢)

وقال كعب الأحماس لرجل أراد سفراً: إن لكل رفقة كلباً فلا تكن كلب أصحابك.  
(الصداقة والصديق ٢٩٥)

حدثنا العسجدِيُّ قال: جاء رجل إلى أبي إسحاق الكسائي ليلاً فقال: ما جاء بك؟ قال:  
رَبِّني دِينٌ، قال: كَهِو؟ قال: أربعمئة درهم، فأخرج كيساً فأعطاه، فلما رجع عنه بكى،  
فقال له أهله: ما يبكيك؟ قال: بكائي أنني لم أبحث عن حاله والجأته إلى الذل! (الصداقة  
والصديق ٢٩٦)

قالت امرأة عبد الله بن مطيع لعبد الله: ما رأيتُ ألاماً من أصحابك، إذا أيسرت  
لرموك، وإذا أعسرت تركوك، فقال: هذا من كرمهم، يغشوننا في حال القوة منا عليهم،  
ويفارقوننا في حال العجز منا عنهم. (الصداقة والصديق ١٨٧)

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: من أحب أن تدوم له مودة أخيه فلا يعده وعداً  
يُخلفه فيه. (ترجمة الكاتب ١٥١)

قيل لابن المقفع: بأي شيء يعرف الأخ؟ قال: أن ترى وجهه منبسطاً، ولسانه بمودته ناطقاً، وقلبه ببشره ضاحكاً، ولقربه في المجلس محبباً، وعلى مجاورته في الدار حريصاً، وله فيما بين ذلك مكرماً. (الصداقة والصديق ١٧٨-١٧٩)

وقال فيلسوف: خير الأصحاب من ستر ذنبك فلم يُقرِّعَكَ، ومعرفة عندك فلم يمتنَّ عليك. (الصداقة والصديق ١٨٣)

آخر [من الطويل]:

أَجِبُّ مِنَ الْإِخْوَانِ كُلِّ مَوَاتٍ  
يُسَاعِدُنِي فِي كُلِّ أَمْرٍ أَجِبُّهُ  
فَمَنْ لِي بِهَذَا لَيْتَ أَيُّ وَجَدْتُهُ  
فَقَا سَمْتُهُ مَا لِي مِنَ الْحَسَنَاتِ  
وَكُلَّ غَضِيضِ الظَّرْفِ عَن عَثْرَاتِي  
وَيَحْفَظُنِي حِينَ وَبَعْدَ وَفَاتِي  
(الصداقة والصديق ١٩٦)

وقيل للحراشي: بينك وبين سهل بن هارون صداقة فأنعتهُ لنا كي نعرف فقال: هو كالخير، وأزن العلم، واسع الحلم، إن فوخر لم يكذب، وإن موزح لم يغضب، كالغيث أين وقع نفع، وكالشمس حيث أوفت أحيث، وكالأرض ما حملتها حملت، وكالماء ظهوراً للشمس، وناقع لغللة من احتز إليه، وكالهواء الذي تقطف منه الحياة بالتنسم، وكالنار التي يعيش بها المرقور، وكالسماء التي قد حسنت بأصناف النور. (الصداقة والصديق ٢٢٩)

وقيل لبرهان الصفي: من الصديق؟ قال: يا هذا، من بضع نصفه معدوم عليك، فاطلب من يسعك بخلقته، ويؤنسك بنفسه، ويواسيك من قلبه، إن رضي عنك لم يغلقك، وإن

سخط عليك لم يمتنك، يبدي لك خيره لتقتدي به، ويواري عنك شره لئلا تستوحش منه، فأما من تكون مثال نفسه في كل حال تلون به الدهر، وهم صدره في كل أمر يقلب به الليل والنهار، يُقدِّم حظك على حظه، ولا يسارق النظر بلحظه، ولا يغلظ القول بلفظه، ولا يتغير لك في غيبه، ولا يحول عما عهدته في شهادته، يعانق مصلحتك بالاهتمام، ويبتئ قدمك عند الإقدام والإحجام، فذاك شيء قد سد الناس دونه كل باب، وقصر الطمع فيه عن كل قاب، فليس له شبح إلا في الوهم، ولا خيال إلا في التمني، والسلام. (الصداقة والصديق ٢٣٢-٢٣٣)

وقال بعض السلف الصالح: خير إخوانك من وعظك برؤيته قبل أن يعظك بكلامه.  
(الصداقة والصديق ٢٥٦)

قال حاتم الأصم: أربعة تُذهب الحقد بين الإخوان: المعاونة بالبدن، واللفظ باللسان، والمواساة بالمال، والدعاء في الغيب. (الصداقة والصديق ٢٨٥)



وقال أعرابي في وصف آخر: لسانه سلّم مُوَادِع، وقلبه حربٌ مُتَارِع. (الصداقة والصديق ٣٥٠)

شاعر قديم [من الطويل]:

أناجي أخي في كل حق وباطل  
فإن رامه بالظلم عيبي وجدتي  
فأظلم جهدي وأمنع ظلمه  
فإن سيء حسفاً أو هواناً تَبَدَّتْ  
وَحُضَّتْ غَمَارَ الموتِ دون مثاله  
وأرغمه حتى يملّ ملائلي  
له باذلاً من ذاك نفسٍ مقَاتلي  
بجهدي ولا أخليه شحمة آكل  
فكأمرٌ وجهي واعترتني أفاكلي  
حفاظاً ولم أسلم أخي للمتاضل

(الصداقة والصديق ٣٥٥)

قيل لأعرابي: كيف ينبغي أن يكون الصديق؟ قال: مثل الروح لصاحبه، يُحييه بالتنفس، ويمتعه بالحياة، ويُرِيه من الدنيا نضارتها، ويوصل إليه نعيمها ولذتها.  
(الصداقة والصديق ٢٤٤)

قيل: الأخوة والصداقة لا يصحان إلا بشرط متى ما لم يكونوا فليستا بشيء، كما جاء في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم: المؤمنون كالجسد الواحد إذا ألم بعضه ألم كله.  
(ترجمة الكاتب ٦٣)

كتب رجل إلى صديق له: أما بعد: فإن كان إخوان الثقة كثيرًا، فأنت أولهم، وإن كانوا قليلًا فأنت أوثقهم، وإن كانوا واحدًا فأنت هو! (الصدقة والصديق ٤٠)

قال عمر بن شكلة: التقى أخوان في الله، فقال أحدهما لصاحبه: والله يا أخي إنني لأحبك في الله، فقال له الآخر: لو علمت متي ما أعلمه من نفسي لأبغضتني في الله. فقال: والله يا أخي لو علمت منك ما تعلمه من نفسك ما أبغضتني من نفسي. (الصدقة والصديق ٤٦-٤٧)

قال معمر صاحب عبد الرزاق: ما بقي من لذات الدنيا إلا محادثة الإخوان، وأكل القديد، وحك الجرب، والوقعة في الثقلاء. (الصدقة والصديق ٩٥)

قال لعبد الله بن أبي بكرة: أي شيء أمتع؟ قال: مذاكرة محب، ومحادثة صديق، وأما إن تقطع بها أيامك. (الصدقة والصديق ١١٤)

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: إذا أحب أحدكم أخاه فليعلمه حتى يحبّه؛ فإن القلوب تتجاري. (الصدقة والصديق ١٢٤)

العرب تقول: السؤال عن الصديق إحدى القربتين. (الصدقة والصديق ١٢٨)

أخبرني المرزباني، حدّثنا الصوّلي، حدّثنا المبرّد، حدّثنا أبو عمر: قال الأصمعي: دخلت على الخليل وهو جالس على حصير صغير فقال: تعال واجلس، فقلت: أضيّق عليك،

## خطاب الأصدقاء: إن القلوب تتجاري

فقال: مَهْ فَإِنَّ الدُّنْيَا بِأَسْرَهَا لَا تَسْعُ مَتَبَاغِضِينَ، وَإِنْ شَبْرًا فِي شَبْرٍ يَسْعُ مَتَحَابِّينَ!  
(الصدقة والصديق ١٠٤-١٠٥)

كتب المعتصم إلى ابن طاهر عبد الله: إياك أن تُريني وجهك، فإنني لست آمن نفسي عليك، ولك من قلبي مكان ما أوثر أن يؤثر فيه ما يحيله عن صورته، ولأن تكون بعيداً وأنا لك، خيرٌ من أن تكون قريباً وأنا عليك، ولأن لا تراني وأنا واثق بك، أنفع لك من أن أراك وأنا ظنينٌ فيك، وإذا صدقتك عما حثت عليه ضلوعي من أمرك، فقد قضيت حقتك في كفايتك، واستدمتُ به صفاء ضميرك، ولو قرأت لي ألف كتاب بالورود، فلا تعمل عليه، ولا يرخصن عندك هذا القول؛ فإن تحته وجداً بك، واستنامة إليك، وابتهاجاً بمكانك، وأردباً نائماً بحبرك وعيانك، وأكثر هذه الحروف عن كل عين رائية، ولا تُدَلَّ على شيء منه مُصْرِحاً، ولا مُعْرَضاً، والرَّمْ فناء عرك، واستنشيق نسيم شوقي إليك، وتطمير حلاوة ثقتي بك، وشهر بركة عتبٍ إذا همع نفع، وإذا أمسك أهلك، وإذا درَّ بر، وإذا أقلع أجزع. (الصدقة والصديق ١١٨)

حدثنا ابن مسرف قال: كان بين محمد بن السمّك وبين رجل مؤاخاةً فانقطع عنه الرجل، فكتب إليه ابن السمّك: أما بعد: فإن لكل شيء ثمرة، وثمره المودة الزيارة، والسلام. وكتب إليه في آخره [من الطويل]:

لقد ثبتت في القلب منك مودةٌ كما ثبتت في الراحتين الأصابعُ  
فأجاب به الرجل: أما بعد يا أخي، فقد ررعت في قلوبنا مودتك، فتهدد ررعتك بسقي الماء، ولا فلا تأمن، والسلام. (الصدقة والصديق ٢٧٢-٢٧٣)



## خاتمة

قد أتت هذه الرسالة على حديث الصداقة والصديق، وما يتصل بالوفاء، والخلاف، والهجر، والصلة، والعتب، والرضا، والمدق، والرياء، والتحقق، والنفاق، والحيلة، والخداع، والاستقامة، والالتواء، والاستكانة، والاحتجاج، والاعتذار، ولو أمكن لكان تأليف ذلك كله أتمّ مما هو عليه، وأجرى إلى الغاية في ضمّ الشيء إلى شكله، وصبّه على قلبه، فكان رونقه أبين، ورفيقه أحسن، ولكن العذر قد تقدم، ولو أردنا أيضاً أن نجمع ما قاله كل ناظر في شعره، وكل ناظر من لفظه، لكان ذلك عسيراً، بل مُتَعَدِّراً، فإن أنفاس الناس في هذا الباب طويلة، وما من أحد إلا وله في هذا الفن حصّة؛ لأنه لا يخلو أحد من جار، أو مُعَامِل، أو حمير، أو صاحب، أو رفيق، أو سكن، أو حبيب، أو صديق، أو أليف، أو قريب، أو بعيد، أو وليّ، أو خليط، كما لا يخلو أيضاً من عدو، أو كاشح، أو مُدَاج، أو مُكاشف، أو حاسد، أو شامت، أو منافق، أو مُؤدِّ، أو مُنابذ، أو مُعاند، أو مُرَبِّل، أو مُضِلّ، أو مُغِلّ، وقد قال الأوائل: الإنسان مديّ بالطبع، وبيان هذا أنه لا بدّ له من الإعانة والاستعانة؛ لأنه لا يكمل وحده لجميع مصالحه، ولا يستقلّ بجميع حوائجه، وهذا ظاهر. وإذا كان مديناً بالطبع كما قيل فالواجب ما يعرض في أضعاف ذلك من الأخذ والعطاء، والمجاورة والمجاورة، والمخالطة والمعاشرة،

ما يكون سبباً لا انتشار الأمر، ولا محالة أن هذه وأشباهها مُفَضِّيةً إلى جملة ما نعتّه هؤلاء الذين روينا نظمهم ونثرهم، وكبتنا جورهم وإنصافهم، وذلك أعلى فنون ما قالوه ونظروه، وعيون ما ذكروه ونشروه، وتعلق الرسالة فإنها إذا طالت بُغِضَتْ، وإذا بُغِضَتْ هُجِرَتْ، وربما نيل من عرض صاحبها، وأنجي باللائمة عليه من أجلها، وهو لم يقصد إلا الخير، ولا أراد إلا الرشاد، وقد يؤتَى الإنسان من حيث لا يعلم، ويرحمى من حيث لا يتّقى، كما يأتي من حيث لا يحتسب، وينجو وقد أسفى، ويدرك وقد غلب اليأس. (الصداقة والصديق ١٦٠-١٦١)

## المصادر

ترجمة الكاتب في أدب الصاحب المنسوب لأبي منصور الثعالبي، تحقيق علي ذيب زايد. عمان، الأردن: وزارة الثقافة، ٢٠٠١.

ترجمة الكاتب في أدب الصاحب المنسوب لأبي منصور الثعالبي، مخطوط مكتبة السليمانية، مجموعة حكيم أوغلو ٩٤٦/٤.

تهذيب الأخلاق لأبي علي بن محمد مسكويه، تحقيق قسطنطين زريق. بيروت: الجامعة الأميركية في بيروت، ١٩٦٦.

تهذيب الأخلاق لأبي علي بن محمد مسكويه، مخطوطة مكتبة السليمانية، مجموعة آيا صوفية ٢٨١٨.

الصداقة والصدق لأبي حيان التوحيدي، تحقيق إبراهيم الكيلاني. دمشق: دار الفكر، ١٩٦٤.

الصداقة والصدق لأبي حيان التوحيدي، مخطوطة مكتبة السليمانية، مجموعة أسعد أفندي ١/٣٥٤٢.